

## الفصل السابع

على أَنَّ للشيطان في قلب كل إنسان مكانًا يصغر ويكبر ويتسع ويضيق بمقدار حظّه من الخير ونصيبه من رضا الله وبرّه به، وبمقدار اجتهاده في الدين، وحرصه على التقوى، وإيثاره للخير والمعروف. ولكن هذا المكان موجود دائمًا في قلوب الناس يُبتلون به فيما يأتون من الأمر وما يدعون. وقد اجتهد خالد في الدين ما وسعه الاجتهاد، وآثر الخير والمعروف ما استطاع، ولكن مكان الشيطان ما زال مستقرًّا في قلبه؛ لأنه لا يزول إلا من قلوب الأنبياء والصديقين. والشيطان ماهر في المكر يحسن الاستخفاء بمكره وغدره، ويبرع حين يلبس الحق بالباطل، وحين يُزيّن الشر في قلوب الناس، وحين يخدع الرجل عن نفسه وعن أحب الناس إليه وآثرهم عنده.

وقد كان الشيطان ماهرًا في سيرته مع خالد؛ فقد استخفى في ثنية من ثنايا قلبه وعطف من أعطاف نفسه أسابيع وأشهرًا، لا يحدثه بقليل ولا كثير فيما بين سميحة وأمها من الاختلاف، ولا يحدثه بقليل ولا كثير فيما بين جلنار وأمها من التشابه المروع، وإنما يستخفي في زاوية من زوايا نفسه، حتى إذا أقبل خالد على ابنته الصغرى يريد أن يلعبها أو يداعبها أو يلثمها أو يشمها انسلّ حتى يدنو من الصبية، فلا تكاد الصبية تبتسم إلّا غشي ابتسامتها البريئة الحلوة بتقلصه المنكر البغيض الذي يسميه ابتسامًا. ولا تكاد الصبية تقطب وجهها لما يقطب له الأطفال وجوههم إلّا اتّخذ الشيطان أبشع ما يؤذن له أن يتخذه من الصور وعرضه دون وجه الصبية، فتقع عليه عين خالد، وإذا لسانه يوشك أن يتلو الآية الكريمة المروعة: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾. ولكنه يُمسك لسانه في جهد شديد، ويمسح رأس الصبية وهو يتلو آية الكرسي كأنه يحصّن بها الطفلة من كل خوف، وهو إنما يحصن نفسه من هذا الروع المروع الذي أشاعه الشيطان في قلبه. ولا يكاد الشيطان يسمع الحروف الأولى من هذه الآية حتى ينسلّ فزعًا